من أجل عودة الروح الى السينما العراقية*

بعد ما يقرب من مئة عام على عرض أول فيلم في العراق، وأكثر من ستة عقود على إنتاج أول فيلم عراقي، فإن السينما العراقية لم تستطع أن تؤكد حضوراً سينمائياً فاعلاً، إلا من خلال ومضات إبداعية يتيمة، وفي مراحل زمنية مختلفة. ونظرة سريعة لتاريخ صناعة الفيلم في العراق، تشير إلى تأثرها بظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية، أسهمت وبأشكال مختلفة في ألا يأخذ هذا الفن مداه الذي يستحق، على الرغم من التطور المضطرد الذي أصاب هذا الفن على مستوى العالم والقفزات الكبيرة في جميع مفاصل الصنعة السينمائية.

أثناء تصوير فيلم (المنعطف)

علاء المفرجي

وتختلف الآراء في شأن العوامل التي أدت الى تخلف السينما العراقية عن ركب المنجز السينمائي العالمي، وحتى عن بلدان لا تملك تاريخ هذا الفن في العراق.

ففي العهد الدكتاتوري توقف الإنتاج السينمائي عام ١٩٩١ وهو لم يكمل حصيلة المئة فيلم.. فكان فيلم (الملك غازي) هو الفيلم رقم ٩٩.. وإذا ما عرفنا أن عقداً من الزمن قبل هذا التاريخ استثمرت فيه السينما كخطاب دعائي وإعلامي للمؤسسة الحاكمة، خاصة مع سنوات الحرب الكارثية مع إيران، فهذا يعني أن الإنتاج السينمائي العراقي قد دخل نفقه المظلم في النصف الأخير من سبعينيات القرن المنصرم.

أسباب كثيرة تقف وراء تعثر انطلاقة حقيقية للسينما العراقية ولعل من أهم هذه الأسباب هو غياب دعم الدولة فمازالت الدولة – وللأسف – في منأى عن المعضلات التي تعترض نهوضا حقيقيا لهذا الفن يتمثل بدخول الدولة كطرف أساسي في دفع عجلة التطور السينمائي عبر أكثر من جانب نلخصها:

– دخولها كطرف داعم في عملية الإنتاج السينمائي، ووضع ضوابط وآليات في ما خص هذا الموضوع من خلال وضع إستراتيجية تستفيد من تجارب العديد من الدول في هذا المجال.

– منح التسهيلات المطلوبة لشركات القطاع الخاص للدخول بقوة في عمليات الإنتاج والإنتاج المشترك معها.

– دعم استيراد وتوزيع الأفلام السينمائية من خلال التسهيلات الضريبية وغيرها.

– تأهيل وصيانة صالات العرض السينمائي في بغداد والمحافظات وفق الأسس التقنية الحديثة والمعمول بها في جميع أنحاء العالم.

– إشاعة وعي وذائقة سينمائيين، من خلال دعم إصدار المطبوعات السينمائية والدخول كطرف ممول للمهرجانات السينمائية.

وليس بعيداً عن هذا الموضوع ان تأتي الضرورة في إعادة النظر بالمناهج التعليمية وطرق التدريس في المعاهد والكليات السينمائية في جميع أنحاء العراق، بوصفها المصدر الاهم للكوادر المتخصصة في جميع مفاصل صناعة الفيلم السينمائي، خاصة وان مثل هذه المؤسسات تعاني نقصاً واضحاً وهو ما انعكس سلباً على إمكانات المتخرجين منها من جانب الاستفادة من تحصيلهم العلمي.. فما زال الجانب النظري – رغم ما يعتمده من مناهج قديمة وبالية – هو الأساس في العملية التعليمية، مع ضمور جانب التطبيقات العملية وهي الرافد الأهم في اكتمال عملية التعليم..

الركود الذي تعانيه السينما العراقية، يتطلب وقفة جادة من المعنيين بهذا الفن ومن الجهات الرسمية ذات الشأن الثقافي..

ومن هنا نقترح مؤتمرا موسعا للمشتغلين والمعنيين بهذا الفن يسعى لصياغة ورقة عمل تشتمل على تشخيص دقيق للمشاكل التي تعترض النهوض بواقع السينما العراقية، وطرح الأفكار والمقترحات العملية التي تضع هذا الفن على أعتاب مرحلة مزدهرة من مسيرته.. وتكون هذه الورقة بمثابة خارطة طريق لتطور السينما العراقية.

ومن جهتنا نضع أمام القائمين على هذه الورقة جملة من المقترحات:

– أن تلتفت المؤسسة الثقافية ممثلة بوزارة الثقافة إلى هذا الفن بوصفه سفيراً إبداعياً مهماً، لتضعه في صلب اهتماماتها في الشأن الثقافي..

– استحداث مؤسسة للسينما لها كيانها المستقل وتخصيصاتها المالية الكفيلة بتغطية برامجها في ما يخص النهوض بواقع السينما.

– للدور الذي صارت تلعبه المهرجانات والملتقيات السينمائية، في نشر الثقافة السينمائية، ندعو للعمل بجد على فكرة إقامة مهرجان وطني للسينما على غرار مهرجانات دبي، والقاهرة، ودمشق برعاية مباشرة من الدولة، مع تقديم الرعاية المطلوبة للمهرجانات السينمائية الأخرى، التي أقيمت بمبادرات شخصية او من قبل منظمات المجتمع المدني، للوصول إلى الهدف نفسه.

– وضع خطة متكاملة بالتنسيق مع المؤسسات الرسمية، (أمانة العاصمة، محافظة بغداد، وزارة الثقافة)، للعمل على إنشاء صالات عرض سينمائي مستوفية شروط ومواصفات الصالات الحديثة في العالم، والعمل على تأهيل صالات العرض القديمة.

– تنشيط استيراد الأفلام وتوزيعها.. من خلال التسهيلات الضريبية للتجار والشركات الخاصة، باعتبار ذلك احد أهم العوامل في نشر الوعي والثقافة السينمائية.

– ايلاء الطلبة المتخرجين من معاهد وكليات السينما الاهتمام المطلوب، من خلال زجهم بدورات متخصصة، وإشراكهم كمتدربين في صناعة الأفلام، ليكتسبوا الخبرة التي يحتاجون اليها في عملهم مستقبلا.

الورقة التي ستكون محور الطاولة المستديرة التي تقيمها المدى يوم السبت ٣/ آذار

مارتن كوبلر يشيد بمهرجان أفلام حقوق الإنسان

حضر الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في العراق، السيد مارتن كوبلر، في ختام فعاليات مهرجان "عين بغداد" الأول لأفلام حقوق الإنسان الذي اختتم أمس الأول.

وقال السيد كوبلر: "إنني أثني على صبر ومجهود المنظمين والفريق القائم على هذا الحدث، وعلى وجه الخصوص رئيس المهرجان مفيد الجزائري، لهذه المبادرة الرائدة لتعزيز ونشر ثقافة حقوق الإنسان في العراق بطريقة تصل للجميع بسهولة".

وأكد السيد مارتن كوبلر على أهمية هذا المهرجان إذ يضرب مثالاً على انخراط المجتمع المدني البنّاء والاستباقي في رفع الوعي حول واحدة من أهم أولويات البلاد ألا وهي تعزيز وحماية حقوق الإنسان/ وقال "لا تتحقق الديمقراطية دون حماية حقوق الإنسان، وبالرغم من التقدم الذي أحرزه العراق على هذين الصعيدين، فالطريق لا يزال طويلاً أمام ضمان توفير الحماية والاحترام والتأمين لحقوق كل مواطن عراقي.

وأردف السيد كوبلر قائلاً: "لا بد أن تحظى المبادرات والنشاطات المماثلة لهذا المهرجان التي تنظمها منظمات المجتمع المدني العراقية بالدعم والتشجيع، وأن توفر الشعوب المجالات والسبل للمجتمع المدني عموماً والشباب خصوصاً للقيام بواجباتهم ولعب دور في رسم صورة العراق التي يتطلع العراقيون لتحقيقها"، واختتم قائلاً: "إن أسرة الأمم المتحدة مستعدة لتقديم المساعدة بهذا الصدد".

واشتمل مهرجان الأفلام الذي دامت أعماله على مدار أربعة أيام على أفلام وثائقية وأفلام خيالية أعدها صناع أفلام عراقيون وعرب وغربيون، وقام بتنظيم هذا المهرجان الجمعية الثقافية العراقية والكلية العراقية المستقلة للأفلام والتلفزيون بالشراكة مع عدد من الجمعيات العراقية والمنظمات الإعلامية، وبتمويل من عدد من المنظمات الوطنية والدولية بما فيها بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ومكتب المفوضية السامية لحقوق الإنسان واليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي واليونسيف.

اليباني ماساهيرو شينودا من بطاقة حب إلى الساموراي

نجاح الجبيلي

مخرج ياباني ولد عام ١٩٣١ معروف بأفلامه التي تتحرى الجمال والألم والتدمير الحتمي للحب المشبوب. تبلغ أفلامه أكثر من ٣٥ فيلماً طويلاً وأصبح منافساً لمعبوديه المخرجين "يوسوجيرو أوزو" و"كنجي ميزوغوشي" في نوعية وحجم الأفلام التي صنعها.

ولد في "غيفو بريفكتور" وشجع على الدخول في الدراسة العلمية لكن اعتقاده بان افتتان اليابان بالتكنولوجيا ساهم في تورط البلد بالحرب العالمية الثانية جعله يلجأ إلى الفنون الدرامية. ودرس أساساً المسرح الياباني التقليدي الكابوكي والبونراكا وفي عام ١٩٥٣ بدأ العمل في صناعة الأفلام.

يصنف شينودا في ما يسمى الموجة اليابانية الجديدة وقد أخرج فيلمه الأول "بطاقة باتجاه واحد للحب- ١٩٦٠" التي تزامنت مع عملين للمخرجين "شيما ناغيزي" و"يوشيشيغي يوشيدا" لكن سرعان ما انتقل من الأفلام التي تتناول السياسة والثقافة المضادة بشكل حاد وقسوة والتي هي نموذجية بالنسبة للحركة.

إن أعمالاً مثل (زهرة شاحبة -١٩٦٣) و(عن الجمال والحزن-١٩٦٥) يستدعي أفلام أوزو وميزيغوشي الهادئة والحسية والمصنوعة بشكل متقن لكنه نكهها بصور الموت والتدمير كما في الفيلم الذي أثار اهتماماً نقدياً "الاغتيال-١٩٦٤".

إن تدريب شينودا في المسرح وافتتانه بالكاتب المسرحي تشيكاماتسو من القرن السابع عشر أدى به إلى صنع فيلم "انتحار الزوجين"-١٩٦٩. وهو اعداد متقن وساحر لمسرحية الدمى من نوع "بونراكا" "انتحار الحبيبين في سونازاكي" لتشيكاماتسو. وباستعمال أساتذة دمى مسرح بنراكا ومساعديهم ذوي الملابس السود كونهم ممتهني القدر ويبرعون في أداء غيرة الشخصيات وعواطفهم ويحركونهم نحو القدر الطقسي نجح شينودا في البقاء وفياً لكل من تقاليد المسرح الياباني وحسه الخاص بأن الحب المشبوب يوجد فقط حينما يحطمه الجنس والعنف والمازوخية.

كان شينودا مؤثراً كونه مديراً لشركة إنتاج الفيلم المستقل المسماة "شركة التعبير" وكان قادراً على السعي وراء اهتماماته الخاصة غير المقيدة بالمتطلبات التجارية للاستوديوهات الكبرى.

هذه الحرية الإبداعية سمحت له بأن يصنع أفلاماً عديدة مختلفة بضمنها "دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في سابورو"-١٩٧٢ وهو فيلم رياضي وثائقي و"غونزا المدجج بالرماح"-١٩٨٦ وهو ملحمة تاريخية عن الساموراي. ومن أحدث أفلامه الفيلم الرائع الجميل "تاكاشي: أيام الطفولة"-١٩٩٠.

الـفـنـان.. الـفـيـلـم الـصـامـت والأكـثـر نـطـقـاً

ابتسام يوسف الطاهر

منذ فوزه بمهرجان (كان) ولا حديث في الوسط السينمائي سوى عن الفيلم الصامت والأبيض والأسود (The Artist) الفنان. والضجة التي دارت حوله بعد فوزه بالعديد من الجوائز العالمية في كل حفلات توزيع الجوائز السينمائية ففي بريطانيا فاز بسبع جوائز (بافتا) التي تعادل الأوسكار، من أصل اثنتي عشرة كان مرشحا لها. وغيرها في اسبانيا وأمريكا حيث مرشح لجوائز عديدة للأوسكار. منها جائزة أحسن ممثل وأجمل إخراج وتصوير وموسيقى وقصة وغيرها. كتب عنه النقاد الكثير، منهم بيتر برادشو كتب في الغارديان "الفيلم تفوق على الكثير من الأفلام الناطقة" وذكر كيف انه بقي واقفا منفعلا ومشجعا للفيلم من بداية العرض لنهايته "لا أستطيع الانتظار لمشاهدته مرة أخرى".

فالفيلم يجمع بين كل عناصر التشويق، دراما ورومانسية وكوميديا. يمنحك الإحساس بالفرح والأمل والحزن معا، بالرغم من عدم استخدامه الحيل السينمائية ولا التقنيات الكومبيوترية التي يعتمدها غالبية المخرجين اليوم والمكلفة أو غيرها من المؤثرات السينمائية. بل اعتمد على التقنيات القديمة لينقلنا لمرحلة العشرينات عصر بداية السينما الصامتة، دون الإحساس بالملل أو الرتابة التي نشعر بها أحيانا لدى مشاهدة بعض الأفلام القديمة، لاسيما الصامتة.

انه رائعة المخرج والكاتب الفرنسي البولوني الأصل Michel Hazanavicius (ميشيل هازنفيشيو). الذي كان معجبا جدا بالسينما الصامتة وقدرتها على النجاح بدون حوار ولا حيل سينمائية او إثارة. وقرر أن يعمل فيلما يعيد الاعتبار لتلك المرحلة التي ازدهرت في العشرينات من القرن الماضي. لكن فكرته لم تؤخذ بمحمل الجد. مع ذلك، بعد نجاح فيلميه (Lost In Rio، Nest of Spies) ضياع في ريو وعش الجواسيس، وتحقيقه أرباحا عالية، تبلورت لديه الفكرة. فقرر أن يكون بطلا الفيلم هما من تعاون معهما في فيلميه السابقين، زوجته الشابة الممثلة الفرنسية- الأرجنتينية الأصل (Berenice Bejo) والممثل الفرنسي المعروف (Jean Dujardin) جين دوجاردن ليلعب دور (الفنان) جورج فالنتاين George Valentin بطل الأفلام الصامتة. واختار ان يكون فيلمه الصامت ميلودراما وهو ما عرفت فيه السينما الصامتة من قبل. فقد أجرى بحوثا عديدة عن هوليوود في العشرينات ودرس تقنيات الأفلام الصامتة وكيف يجعل القصة مفهومة للمشاهد دون اللجوء لكتابة الحوار (intertitles) بكثرة.

يقول المخرج "إن الفيلم هو عبارة عن رسالة حب للسينما، وتعبير عن مدى الحب والتقدير لتاريخ السينما". ذلك ردا على انتقادات البعض باستخدامه المقطوعات الموسيقية للموسيقار برنارد هيرمان، التي اعتمدها هيتشكوك في أفلامه. ويضيف انه معجب بموسيقى هيرمان، وان الكثير من الأفلام تقتبس الموسيقى من بعضها بعد اخذ الإذن والموافقة ودفع المبالغ مقابل استخدامها.

السينما الصامتة كانت صورة سينمائية متأثرة بعروض رقص الباليه بنقلها قصصا وأحداث من خلال رقص راق بحركات معبرة وموسيقى إبداعية، والذي هو امتداد للرقص الهندي الذي عرفته القرى الهندية قبل أكثر من ألف عام، حيث كانت إحدى وسائل التسلية لهم سماع القصص التي تحكيها الراقصة من خلال حركات يديها وعينيها وجسدها كله. والتي كانت كما يقال وسيلة لنقل رسائل سرية عن طريق حركات تعبيرية حتى لا يعرفها رجال السلطان!

تدور احداث فيلم The Artist(الفنان) في العشرينات من القرن الماضي عن حياة ممثل الأفلام الصامتة المشهور جورج فالنتاين. يبدأ العرض بمشاهد من احد أفلامه معروض في قاعة السينما ونرى إعجاب وتفاعل الجمهور (الصامت) مع المشاهد الصامتة، ومعها نرى الممثل وهو يتابع فيلمه بفخر وابتسامة رضا لا تفارق وجهه، ثم يظهر للجمهور محييا ومقدما كلبه (Uggi) الذي يعد احد أبطال الفيلم، فقد أضاف لمسات طريفة وجميلة كوميدية خفيفة، وهو يتبع الفنان في حياته وأفلامه كما لو هو ظل له أو ضميره، إلى مشهد إنقاذه من حريق مهول، بعد أن يحرق الفنان كل أفلامه لتشتعل النار في غرفته الصغيرة التي انتقل لها بعد تخلي زوجته عنه وإخراجه من الفيلا الكبيرة التي كان يعيشها.. ذلك بعد أفول الأفلام الصامتة اثر اختراع التقنيات وإصرار صاحب الشركة على إنتاج أفلام ناطقة بعيدا عن التعاون مع الفنان. ويرافق ذلك صعود نجم الممثلة الشابة التي تألقت بفضله بعد نشر صورة أخذت لها معه صدفة، ثم إصراره على تقديمها ومشاركتها بالأفلام التي قدمها.

تتصاعد أحداث الفيلم وتصل لقمة اليأس والألم حين يكتشف الفنان بواسطة الكلب الصغير، أن حتى اللوحات والأثاث التي عرضها للمزاد بعد إعلان إفلاسه وخسارة الفيلم الذي أنتجه ومثله، قد اشترتها تلك الممثلة دون إشعاره بذلك، رغبة منها في مساعدته، غير متناسية وقوفه معها بل وتقديمها لعالم السينما وانه السبب بنجاحها. حين يكتشف ذلك يشعر بأسى وجرح لكرامته، فيقرر الانتحار بمشهد مؤثر وأكثر من ناطق بصمته، ورفيقه الكلب يحاول أن يسحبه ويمنعه من إطلاق النار على نفسه.. حتى تأتي الممثلة الشابة راكضة صوبه لتعانقه وتقنعه بضرورة التحلي بالأمل والعمل بأطر فنية أخرى.

ومن أجمل المشاهد التي أبدعها المخرج، مشهد ناطق ومؤثر وهو يفاجئنا بنقل الفيلم من الصمت الى النطق، يسمع الفنان بخوف صوت قدح الماء حين يضعه على الطاولة فيكرر الحركة ليتحول الصوت الى ضجيج! ثم سماعه لنباح الكلب، وصوت الستائر وهو يسحبها..يخرج للشارع فيسمع ونسمع معه، أصوات الناس وحفيف الأشجار وصوت السيارات، ولكن صوته هو الوحيد الذي بقي صامتا لا يسمعه مهما حاول الصراخ، الى صوت ارتطام ريشة على الأرض لنسمعه كما لو هو دوي لانفجار ما!.. فيستيقظ الفنان فزعاً من ذلك الكابوس! النبوءة كما نكتشف في ما بعد، بما ستؤول له حال الأفلام الصامتة.

ويختم الفيلم بمشهد ناطق ثاني، مشهد راقص للثنائي، الممثلة مع الفنان ومطالبة المخرج بإعادة المشهد مرة أخرى فنسمع الممثل يقول له مبتسما (بكل سرور) ينطقها بالانكليزي بلكنة فرنسية واضحة وهذه هي الجملة الوحيدة التي ينطقها الممثل في الفيلم. تقول الممثلة بيجو إنهم تتدربوا على هذه الرقصة الثنائية لأكثر من خمسة شهور، وبشكل متواصل كل يوم لدرجة أنها كلما تتذكر تشعر بألم بقديمها!

الفيلم بغض النظر عن بعض الهفوات التي يعتقد البعض أنها مقصودة، مثل مشهد هروب بطل الفيلم الذي يمثله الفنان بالطائرة موديل يسمى (Ryan ST) التي لم تصنع في زمن الفيلم وإنما في عام ١٩٣٤. إلى نوع المسدس الذي يخرجه الفنان من الصندوق بمحاولة الانتحار، فلم يعرف إلا في عام ١٩٥٠ بينما أحداث الفيلم تدور بين نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات كما يفترض!

مع هذا لم تؤثر هذه الأمور على انسيابية الفيلم وجماله.. كان أشبه بقصائد شاعرية بموسيقاه الهادئة والصاخبة، كان ناطقا بقيم الحياة والوفاء والحب التي يحظى بها الفنان مع الممثلة التي أحبته وكلبه الوفي وسائقه الذي كان يرعاه ويخدمه أيضا دون مقابل. فبعد إفلاس الفنان وبيع حتى ملابسه، لم يتمكن من دفع رواتب السائق لعام كامل مع ذلك يرفض السائق أن يستقيل أو محاولة إبعاده للبحث عن عمل آخر.

كان الفيلم ناطقا بمعاني الأمل والإصرار على الحياة وتخطي المتاعب والعوائق المحبطة. فتخرج من قاعة السينما متخففا من أحمال وأثقال راكمتها الأيام. بالرغم من المشاهد الحزينة ومحاولاتك الفاشلة لحبس دموعك. كما لو انك تسمع أغنية من تلك الأغاني التي تعيد الاعتبار لمشاعرك وأمانيك وأحلامك.

اعتقد أن الكل يشاطر بيتر برادشو بأنهم لا يستطيعون الانتظار لمشاهدته مرة أخرى.